

# في بلاط المتنبى

## (الحلقة الأولى)

بقلم الأستاذ: محمد ولد إمام



ولكنه كان هجو الوري  
إن المتنبى لم يكن يمدح  
بالمعنى التقليدي بل كان كأنه  
يصبغ خصاله أو يخلعها على  
الممدوح، وذلك غالباً بعد أن ينوء  
بنفسه وبمكائنه ومجده، واعتقد  
أنه يختلف حسب الممدوح، فإذا  
كان أعجباً أطنب المتنبى في  
إبراز خصاله هو ومدح نفسه  
الكريمة قبل مدح وجهه ولعله  
أيضاً يشير ضمناً بذلك إلى ما  
يجب أن يكون عليه القائد عموماً  
ليستحق القيادة.  
فهو يمدح نفسه ثم قصيدته، ثم  
ما يجب أن يكون عليه القائد أو  
الشخصية المجيدة عموماً.  
فهذا المدح أكثر من وظيفته فهو  
توجيه في طيه ملامح أحيانا، وهو  
أيضاً إسقاط لما يراه هو في نفسه  
على ممدوحه، وهو أيضاً رأيه فيما  
يجب أن يتحلى به الزعماء...

والترك، وكلهم يحكم جانباً  
من أرض الخلافة، وأخذ أبو الطيب  
على عاتقه إدالة "دولة الخدم"  
هذه كما يسميها.  
ورغم أن أبا الطيب في بعض يأسه  
قد مدح بعض هؤلاء الأعاجم،  
مثل الأمير بن طنج وكافور بعد  
ذلك وغيرهم، إلا أنه كان مدحاً  
أقرب للرقي كما قال هو، والمتأمل  
لقصائده في هؤلاء الأعاجم، يجد  
فيها كثيراً من الإشارات التي لا  
تخفى على ذي لب من ذم للدهر  
وأهله، ومن استعلاء وفخر لا يخلو  
من تعال عليهم، وكان ذلك منه  
اضطراباً كما أرى، وكما أشار هو،  
في اعتذاره للأدب والشعر، عندما  
قال،  
شعر مدحت به الحرك كد  
بين القريض وبين الرقي  
فما كان ذلك مدحاً له

أعرف عليه إلا وأنا شاب، ولكن  
كان عشقاً من أول نظرة كما  
يقولون، فمئذ أول قراءة لقصائده  
وأنا مولع بها، حتى إنني حفظت  
أغلبه من دون أن أدري أو أنوي  
ذلك بل كانت قصائده لوجودتها  
تفرض نفسها علي فرضاً وتخلل  
معششتي في فكري حتى أجدني  
أرددها وقد حفظتها..  
ومن خصائص شخصية المتنبى  
الظاهرة في شعره هي قوميته  
البارزة، وتوجهه لما حل بالامة  
العربية في ذلك العهد المأسوس  
بالاضطراب السياسي، حيث  
استحوذ الأعراب والأعاجم على  
مفاصل الدولة الإسلامية، وأصبح  
خلفاؤها خواتم في أيديهم، وكان  
أبو الطيب يرى ما هم فيه من الذل  
والتشرد والاستخذاء، فكان  
ذلك يؤلمه أيما إيلاء، فهناك  
الديلم والتونكيون والإخشيد

المتنبى في وقت متأخر نسبياً،  
حيث كان أول احتكاك لي  
بالشعر عن طريق الكتاب  
التقليدي (المحظرة)، حيث بدأت  
بالشعر الجاهلي عبر دواوين  
الشعراء الستة الجاهليين، كما  
أسلفت، ومن ثم مقتطفات من ديوان  
الحماسة وبعض الأشعار المحلية،  
وكانت هذه النصوص تفرض علي  
فرضاً لا تذوقاً ولا اختياراً مني،  
عكس شعر المتنبى.  
أذكر أن الأديب المازني كتب في  
"حصاد الهشيم" ملاحظة تصدق  
علي أيضاً حيث قال إن ديوان أبي  
الطيب لم يكن مقرأ عليه ولا في  
مكتبته حتى، ورغم ذلك فهو  
يحفظ له أكثر مما يحفظ لأي  
شاعر آخر!  
وفي يمينتي لم يكن ديوان أبي  
الطيب متداولاً ولا معاً يدرس  
للصغار في الكتاتيب عندنا، فلم

أود أن أشير هنا إلى أنني في هذه  
القصائد، إنما أصد عن هوى  
خالص في نفسي وطرب للشعر، فلم  
أكتبها لأنا لشهادة أكاديمية في  
الأدب أو النقد، وليس هذا  
تخصصي الأكاديمي، ولم أكتبها  
لثيل جاذبة في البحث، وإنما هي  
خواطر محب شغف بالشعر الجميل،  
وأحب أن يشارك تجاربه وقراءاته  
مع الناس، والقرى، كما قلت  
مراراً، هو أنني لم "أدرس" المتنبى  
في الدراسة التقليدية "المحظرة"  
ولا في الدراسة النظامية بعد  
ذلك، عكس بعض الشعراء  
الآخرين، مثل شعراء الجاهلية  
الستة (في صباي تم تحفيظي  
دواوينهم قسراً، وما زلت أحفظ  
أغلبها إلى اليوم، وكذلك ديوان  
الحماسة فيما يسمى قديماً  
بالزورث وهو تمارين على الإعراب  
بالشعر حيث نعر الأبيات ثم  
نحفظها).. وقد دنت هذه الدواوين  
في دفاتر وصحف متفرقة (تسمى  
عندنا الكنائش جمع كئاش أي  
كشكول من صفحات متفرقة)  
ولاحقاً قمت في إطار مشروع رقمته  
التراث برقمته ثلاثة من  
كنايشي الخاصة وأتا حبتها  
لجميع على موقع الأرشيف. ورغم  
أن أبا الطيب لم يفرض علي ولم  
يكن يوماً جزءاً من تكويني ولا  
تدريسي يجب علي حفظه أو  
دراسته، إلا أنني أحفظ ديوانه  
تقريباً كاملاً، لا عن قصد ونية،  
وإنما لاستحسانه والطرب له،  
فأجدني أكرره بيني وبين نفسي  
وهكذا يرسخ في ذهني، مع تأمله  
وتذوقه.

ولعل من أول ما لاحظته من قراءتي  
لديوان المتنبى أنني عندما أطالع  
تراجم الرجل أرى شخصاً مختلفاً  
عن الشخص الذي أجده عند قراءة  
الشعر، ولأسباب عديدة، أقدم  
الشعر على الأخبار التي أرى في  
معظمها تحاملاً غير خفي.  
ثم إن الشعر في حد ذاته وثيق  
تاريخية مقسمة على آراء  
المعاصرين ومن تبيينهم، فهم  
أصحاب أغراض وأهواء، وكما قيل  
فالمعاصرة تمنع المناصرة..  
وقد تعرفت عن قرب على شعر

## همسات تراثية

محمد سيد احمد

## من حكمة القرو

غير جذابة فكانت المفاجأة الصادمة التي  
جعلت السيدة تقف أمام المرأة وبعد تأمل  
وتفكير قالت مخاطبة نفسها، لست قبيلة  
لكنك لن تحضري الحفل، في حين مرت  
سيول عارمة فحملت مجموعة من القرو  
وقائدها وبعد لحظات استشار الخلاء  
القائد، ما العمل؟ فترث قليلاً وهو يشاهد  
جزءاً من ذيله أمامه بعد قوة السيول وقال، أنا  
لا أجيب على الأسئلة إلا عندما يكون  
ذيلي في مكانه الطبيعي. لقد تفاوتت  
أحداث هاتين الحكايتين لكنهما أجمعتا  
على ضرورة اتخاذ القرار السليم في الوقت  
المناسب وعلى ضرورة حساب عواقب الأمور  
وهي ذلك درجة كبيرة من الوعي  
والإنصاف تجعلنا نتذكر بطل الحكاية  
الثالثة الذي قال عند ما رأى وجهه في  
المرآة، هذا زاد ياسر.

أياماً خاصة أبدى فيها الموريتانيون نضجهم  
من خلال التزام أغلبهم بالإجراءات  
الاحترازية ضد جائحة كورونا نرجو من  
الله أن تزول وأن يعيش العالم بعدها سلماً  
ورخاء وسنرى من خلال هذه الحكايات  
كيف أن أسلافنا قدموا لنا دروساً خالدة في  
ضرورة الالتزام بالضوابط والقوانين عند ما  
يكون ذلك ضرورياً للتنأزل عن  
الخصوصيات مقلبين المصلحة العامة أمليين  
في بناء وطن قوي تظل الجميع رايته ويذوب  
الكل في خدمته، فعند ما تناقلت الأنباء أن  
الملك سيقم حفلاً كبيراً في مناسبة من  
مناسبات الدولة وأن الجميع مدعو  
للمساهمة في إنجاحها بدأت سيدة من  
القرو تحضير نفسها استعداداً ليوم الزينة  
وما إن أكملت إجراءاتها حتى فوجئت بهذا  
النبأ، أصدر الملك أمراً يقضي بأن الحفل  
محرم حضوره على كل من يملك ملامح

عرف المجتمع الموريتاني بالعبقريته  
والذكاء سواء في تكيفه مع الظروف  
المناخية أو من خلال روابط نسجه  
الاجتماعي وقد عمل هذا المجتمع على  
تربية أجياله عبر مجموعة من القوانين  
الصارمة والمناهج المعقولة التي تجعل  
الطفل منذ نشأته يجمع في ذاكرته ما وقع  
عليه بصره أو وصل إلى سمعه من معلومات  
حتى إذا بلغ مرحلة اتساع العقل بدأ يعي  
ويستوعب تلك الأشياء التي علقبت  
بذاكرته من خلال خيوط قوية أحدثتها  
أساليب تنسيق فريدة جعلت الصغير مشدوها  
من البداية إلى المرسل حتى تكتمل  
الفكرة وقد جاء أغلب ذلك إما على السنة  
الحيوانات أو عبر الوسائط التريوية  
الأخرى.

ومن ذلك حكايات نوردها هذه المرة،  
ونحن نعيش أيام الصيام المباركة ونعيش